

عملية تنظيم النسل في الأسرة الجزائرية بين الدين و الواقع الاجتماعي

مقاربة سوسيو - أنثروبولوجية

الأستاذة : عبد اللاوي ليندة

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

جامعة تلمسان

ملخص:

تعتبر عملية تنظيم النسل سلوكا حضاريا يعبر على نوع من التوازن على مستوى الفكر الإنساني في حدود الواقع الاجتماعي. ففي زمن تعرف فيه المجتمعات الإنسانية على اختلافها و تنوعاتها الثقافية تحولات جسيمة تلامس الجوانب الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية و الدينية، تحظى عمليتي تنظيم النسل و توجيه الخصوبة باهتمام بالغ لما لهما من مزايا على المستوى الفردي و الجماعي. و في ظل اصطدام بعض المفاهيم الخاصة بتحديد النسل مع العقيدة و المعتقدات تبقى الأسر تسعى نحو غد أفضل بتبني السلوكات الاجتماعية و الحضارية الملائمة للبيئة المحيطة بها و التي لا تتنافى مع الدين الذي يهيكل سلوك الفرد و ممارساته الثقافية داخل المجتمع.

الكلمات المفتاحية :

تنظيم النسل _ الممارسات الثقافية _ تحديد النسل _ الخصوبة _ الدين _ الأسرة الجزائرية _ الواقع الاجتماعي _ التحولات _ الثقافة المحلية.

تمهيد :

يحكم التكاثر البشري عدد من العوامل المتفاوتة الأهمية و المتداخلة بدرجة كبيرة من التعقيد و على رأسها العوامل الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية و الثقافية و غيرها و التي ترمي أساسا إلى السيطرة على الطبيعة و الدين و أنماط التفكير و علاقات الإنتاج إلى جانب الميل الغريزي للإنسان للتكاثر.

فقضية التكاثر عند الإنسان تختلف عن تلك الموجودة لدى الحيوان و الحشرات و سائر الكائنات الحية الأخرى التي تتأثر بالمحيط الطبيعي الذي تعيش فيه. إن المحيط هو الذي يؤثر على التحول الديمغرافي (1) داخل المجتمع الحيواني من حيث الزيادة الطبيعية ، الانخفاض أو الانقراض.

أما على الصعيد الإنساني ، فالمحيط الاجتماعي هو مجال التكاثر البشري و يتميز بالديناميكية لأنه كثير التحول و التغير و في سياق ذلك التغير يوحى إلينا صاحب المقدمة ابن خلدون في حديثه عن المتغير السياسي كعامل مؤثر في السلوك الإنجابي في المجتمع العربي و يحدد علاقة الكثرة العددية بقيام العصبية فيقول : " و لما كانت الرئاسة إنما تكون بالغلب و جب أن تكون عصبية ذلك النّصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب بها و تتم الرئاسة لأهلها" (2) فكثيرا ما اقترن التحليل الخلدوني بمظاهر الكمّ العددي و كان في كثير من ملامحه صالحا للمجتمعات العربية.

إن الجزائر واحدة من الدول العربية و تعد بلدا طليعيا يسعى نحو التقدم و الازدهار و لتتبع مسيرة تطور بلدنا يتوجب علينا تتبع التحولات على مستوى المجتمع و ملاحظة أثرها على البنية العائلية. و المتتبع لتاريخ الجزائر يدرك أن أكبر التحولات التي طرأت على المجتمع ما هي إلا نتيجة تضارب عوامل عدة سياسية، اجتماعية، دينية أو اقتصادية أو حتى استعمارية ، فإنها غيرت من العادات و الثقافة السائدة في المجتمع بما يتماشى مع الأوضاع الجديدة.(3)

و الجزائر كسائر الدول النامية سعت في خضم تحولات الخمسينية الأخيرة من القرن العشرين إلى تحسيس و توعية جل الأسر الجزائرية و حثها على العمل ببرامج تنظيم الأسرة من خلال المخطط الخماسي الأول و الثاني .

كانت الأهداف الأساسية لهذين المخططين هي تحفيز الأفراد على العمل ببرامج تنظيم الأسرة من خلال استعمال موانع الحمل لما لهذه العملية من أهمية في تحقيق التوازن الذاتي و الجماعي. إن هذا السلوك يعتبر سلوكا حضاريا يرمي إلى المشي في خطى التطور الاجتماعي، الاقتصادي و السياسي.

عملية منع الحمل من المنظور التاريخي

يقول دافيد سارفاتى في هذا الصدد: " إن عملية منع الحمل في أصلها ما هي إلا تعبيرا على نوع من التوازن على مستوى الفكر الإنساني ، توفيقا بين التقليد و المعاصرة" (4) . إن عملية منع الحمل ليست حديثة النشأة و لطالما أسست جوهر عمليتي تنظيم الأسرة و توجيه الخصوبة. و الحقيقة أن الخصوبة

كباقي الظواهر الاجتماعية تخضع للأنماط الثقافية و الأبنية الأسرية فهناك علاقة عضوية و وطيدة بين عملية الإنجاب و الأنماط الثقافية و الاجتماعية السائدة داخل المجتمع.

من الناحية التاريخية، يمكننا القول أنه قد تتالت الشعوب و تعاقبت الحضارات و تباينت طريقة العيش من حقبة زمنية إلى أخرى و من مجتمع إلى آخر فكان لكل حضارة موقفها من قضيتي الإنجاب و التناسل كان أساسه اختلاف الديانات و المعتقدات.

يخضع تقدم الشعوب و تطورها إلى العديد من الشروط و المعايير ، قد يفسرها البعض من الجانب الاقتصادي ، و البعض الآخر من الجانب السياسي و البعض الآخر من الجانب الاجتماعي و الثقافي أو الديني وفي كل الحالات يظل المعيار الأساسي هو صحة الإنسان و مدى توافقه النفسي و الاجتماعي .

كانت الصحة الإنجابية ، على مرّ التاريخ، موضع اهتمام الكثير من الباحثين في مجال العلوم الإنسانية و الاجتماعية لما لها من أهمية في توجيه سلوك الأسر داخل المجتمعات التقليدية و الحديثة على حد سواء.

و الجدير بالذكر هنا هو أن موضوع الصحة الإنجابية بما فيها عملية تنظيم النسل يلعب دورا جوهريا في توازن الحالة الصحية و النفسية للفرد و كذا على تكيفه الاجتماعي فكان ذلك من الرهانات التي تبتتها العديد من الدول النامية للوصول إلى درجة الرقي و التطور المطلوب.

إن الجزائر على غرار بقية دول العالم تسعى لتحقيق هذا المطلب ، و لو أن المرحلة الاستعمارية التي رمت بظلالها على كل مجالات الحياة في ظل نقص الوعي و انتشار الأمية في الأوساط الاجتماعية ، جعلت من هذا الرهان واحدا من أكبر التحديات الصعبة التي يجب التخطيط لها و العمل على ترسيخها ضمن الممارسات الثقافية الأكثر رواجاً داخل مجتمعنا.

دور عملية منع الحمل في إرساء برامج تنظيم الأسرة :

قد نعرّف عملية منع الحمل بأنها عملية يتم فيها تأجيل الحمل تأجيلا مؤقتا باتخاذ بعض الوسائل لذلك(5) فمانع الحمل هو كل وسيلة أو طريقة تمنع وقوع الحمل بصفة مؤقتة و انعكاسية (6).

وجدت عملية منع الحمل منذ وجود البشرية و تتعدد الدراسات التي تستعرض ، قبل التاريخ المكتوب، التقنيات المختلفة المتبعة في المجتمعات و القبائل البدائية فبحثت في الكتب السماوية و في كتاب

الإغريق و الرومان ثم في الحضارة الفرعونية و الصينية و اليابانية و الهندية لتحط أخيرا في أوروبا العصور الوسطى و بداية العصر الحديث (7) .

و على اثر الدراسات الحديثة التي أقيمت على مجتمعات بدائية و تقليدية توضّح أن طرقا عدّة قديمة و تقليدية لا تزال تستعمل لمنع وقوع الحمل و هذا دليل على الرغبة القوية التي سكنت و لا تزال تسكن نفس الإنسان للتحكم في خصوبته و نسله و ذلك لأهداف متعددة و متباينة.

إن تاريخ منع الحمل بغضّ النظر عن الطرق المستعملة ما هو إلاّ تعبيرا عن ازدواجية القطب على مستوى الفكر، توازنا بين نوعين من الفكر الإنساني لا يزال متواجدا في المجتمعات و الأشخاص أنفسهم : المحافظة أم التغيير، التقليد أم المعاصرة ، الإيمان أم العقل (8)

و من هذا المنطلق، فقد تتعدد الطرق المستعملة لمنع الحمل من قديمة و حديثة، تقليدية و طبيعية أو حديثة اصطناعية و أيضا بين قصيرة المفعول إلى طويلة المفعول لكن الأمر المهم يبقى درجة فعاليتها و أثرها على صحة الزوجين.

مميّزات موانع الحمل:

أهم الخصائص التي يجب أن تتوفر في موانع الحمل هي :

1- الفعالية : تتوقف على الطريقة المستعملة نفسها و على فعاليتها كما أنها تتوقف على كيفية استعمالها من طرف الزوجة/ المرأة و هي نوعين

- الفعالية النظرية : هي التي تتحقق إذا أحسنت المرأة استعمالها و في هذه الحالة تفي الطريقة المستعملة بالغرض المنشود.

- الفعالية الميدانية : هي الفعالية التي تأخذ بعين الاعتبار نسبة الفشل الممكنة و الناتجة عن عدم فهم كيفية استعمالها لدى المرأة.

2- الأمان: يجب أن تكون وسيلة منع الحمل آمنة و لا تؤذي بصحة المرأة.

3- العكسية: يجب أن تكون فعالية الطريقة المستعملة أن تكون مؤقتة و عكسية لإتاحة الفرصة أمام المرأة للوقوع في الحمل عند رغبتها تماما بعد إقلاعها عن أخذ مانع الحمل.

4- الرضا :على المرأة أن تكن راضية عن الطريقة المستعملة لمنع الحمل من حيث أنها سهلة الاستعمال و آثارها الجانبية لا تخل بالجانب الصحي أو النفسي للمرأة.

5- المداومة: بعبارة أخرى يجب على المرأة أن تكون مخلصه و مداومة الاستعمال لمانع الحمل من اجل النجاعة.

6- الثمن: على الثمن أن يكون في متناول جميع شرائح المجتمع و جميع الأسر من حيث دخلهم المالي.

(9)

إن الغرض من وراء استعراض مميزات موانع الحمل هو إبراز النقاط التي قد تستوقفنا على أنها محل جدل سواء من الناحية الدينية أو من الناحية الاجتماعية أو من الناحية الثقافية و الصحية.

تعريف عملية تنظيم النسل :

يقول هايمس Himes : إن معرفة الاهتمام بشؤون الحمل يرجع إلى زمن غابر ، بحيث يصعب علينا معرفة أصلها بدقة (10) و قد تبنت السياسات التنموية في دول العالم الثالث مبدأ تنظيم النسل بتباعد الولادات وتوجيه الخصوبة منذ زمن لكن واجهت عقبات ثقافية ، اجتماعية و دينية حالت دون الوصول إلى النتائج المرغوب فيها.

فالخصوبة تتوقف على عوامل و متغيرات تختلف و تتباين بتباين الثقافة و النظام الاجتماعي كما أن اختلاف نسبة المواليد من مجتمع إلى آخر لا تأتي نتيجة الخصوبة المرتفعة وحدها ، و إنما لتدخل عدد كبير من العوامل الاجتماعية و الاقتصادية و التربوية و غير ذلك من العوامل التي تخضع لظروف المجتمع و قيمه السائدة (11)

فبالرغم من التقدم العلمي ، الطبي، الاجتماعي،السياسي و الاقتصادي الذي شهدته هذه الدول و الذي ساعد في المجال الصحي على التخفيض من نسبة الوفيات (الأمومة و الطفولة) إلا أن عملية التحكم في الخصوبة و العمل ببرامج تنظيم النسل أخذت وقتا أكبر و ذلك للأسباب التالية :

- غلاء وسائل منع الحمل و عدم توفرها
- اصطدام هذه الفكرة بالعقيدة و الدوافع الدينية
- ضعف الوعي و المستوى الثقافي عند أغلب أفراد المجتمع
- الصعوبات المالية و المادية نتيجة الفقر و تدهور مستوى المعيشة.

لكل هذه العوامل تعثرت برامج تنظيم الأسرة التي سطّرت في إطار المخططات التنموية في سنوات الثمانينات في المجتمع الجزائري لكن سرعان ما تغيرت هذه الوجهة و ذلك حسب الجمعية العامة للصحة للأمم المتحدة و التي في خضم نتائج دراسة قامت بها في دول العالم الثالث و صلت إلى أن هناك نسبة ذات وزن من السكان تهتم و ترحب بتحديد حجم الأسرة و تقليلها إلى حد ما(12)

وتبقى العوامل التي تساعد على تنظيم الأسرة قائمة على تطور المعارف الطبية و انتشار الوعي بمنافع تباعد الولادات على صحة الأم و الطفل و الأسرة على حد سواء.

على صعيد آخر، يعتبر الحراك الاجتماعي و التغيرات الاقتصادية من أهم العوامل التي تساعد على تحفيز الأسر على العمل بطرق تنظيم النسل. و من المؤكد أن إمكانيات الارتقاء تتوفر بنسبة أكبر على مستوى المدن لان الوسط الثقافي و مكان الإقامة لطالما تحكما بشكل فعلي في نوعية الحراك الاجتماعي و الثقافي من تصنيع و تعليم و حتى على مستوى الإنجاب .

يقول أندري ميشال : " لقد ساهمت هذه التغيرات بالتصنيع في تسهيل قبول فكرة تنظيم النسل، بحيث أدى الاتجاه نحو الإقامة في المدن و ارتفاع مستوى المعيشة و انتشار مستوى التعليم و تحريم العمل على الأطفال و انخفاض نسبة وفياتهم و اشتغال المرأة إلى انتشار هذه الفكرة من مجموعات صغيرة في قمة البناء الاجتماعي إلى نسبة متزايدة من السكان" (13)

من هذا المنطلق نلمس أن التغيرات الاقتصادية و الاجتماعية داخل المجتمعات بما فيها المجتمع الجزائري ساهمت بشكل كبير في نشر ثقافة تنظيم الأسرة في الأوساط الاجتماعية. و قد لعب موضوع خروج المرأة إلى عالم الشغل دورا لا يقل أهمية في توجيه الخصوبة وتحديد موقف الأسر من الإنجاب.

اضطرت المرأة إلى أن تكفل نفسها بنفسها و أن تبطل القسمة الفطرية التقليدية في الاقتصاد الأسري و التي كان بموجبها على الرجل أن يكدح لكسب قوت الأسرة بكاملها و أضحت المرأة تساهم في تلك المهمة فتعذر عليها إنجاب العدد الكبير من الأطفال و التكفل بهم و تنشئتهم تنشئة صحيحة بل توجب عليها التفكير في تخطيط الإنجاب و العمل بوسائل تنظيم النسل.

لكن ما حكم الشريعة الإسلامية في هذه العملية ؟

عملية تنظيم النسل من المنظور الإسلامي :

إن أولى الخطوات فيما يخص حكم الإسلام في عملية تنظيم الولادات كانت من طرف مجلس الشورى التركي للشؤون الدينية في سنة 1960، بعد طلب رسمي من الإدارة العامة للصحة العمومية بيوم 13 ديسمبر 1960 ، للتأكيد على إذا ما كانت عملية تنظيم النسل مشروعة من طرف الدين الإسلامي.

و ضمن النتائج التي خرجت بها هذه الفتوى هي :

- بين كلاً من القرآن الكريم و السنة النبوية الطريقة الطبيعية الواجب استعمالها لتنظيم الولادات لتفادي وقوع الحمل و هي الرضاعة.

- من جهة أخرى تؤكد السنة النبوية على سعادة الإنسان و كرامته عند إنجابهِ للأطفال في صحة جسدية و عقلية جيدة ، و هذا لا يتحقق إلا بتنظيم الولادات طبقاً للآية 105 من سورة التوبة. قال الله تعالى " و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون ". إن الله يحث عباده على العمل و ما يدخل حسب الفتوى ضمن هذه الأعمال تلك التي تجبر الوالدين على توفير المأكل و الملبس و التربية الحسنة و التعليم.... فيجيز الفقهاء استعمال موانع الحمل إذا ما كان أحد الأبوين مريضاً ، إذا كانا فقراء و عاجزين على تحمل مسؤوليتهما.... و كذا إذا كان وقوع الحمل يؤدي بصحة الأم أو الى دورها كمربية(14).

إذن، لا ينحصر مفهوم تنظيم النسل في الحد الكمي للأطفال فقط بل مفهومه واسع يشمل كافة النواحي المادية و المعنوية لحياة الأسرة فلا فائدة في إصلاح لا يسانده وازع أخلاقي قوي و لا خير في أخلاق لا تتبع من عقيدة سليمة (15)

و في نفس السياق ورد عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : " أعود بالله من جهد البلاء " قالوا ما جهد البلاء يا رسول الله؟ قال : " قلة المال و كثرة العيال " فقد نبه رسول الله صلى الله عليه و سلم على نظرة الإسلامي إلى القلة دون الكثرة لتفادي تنشئة الأطفال تنشئة هزيلة.

و هنا تستوقفنا قضية هامة و هي مسألة الفصل بين تنظيم النسل و تحديده ، فبينما يجوز تنظيم الولادات إلا أن عملية تحديد النسل محرمة في الدين الإسلامي. المقصود من تحديد النسل هو وقف النسل الإنساني عن النمو و الزيادة (16) و قد ظهرت هذه العملية في المجتمعات الأوروبية و كان الهدف من وراء الحد من الولادات و تحييز قلة عدد الأطفال سعياً نحو الرفاهية المادية و الرخاء الاقتصادي و خوفاً من قلة وسائل المعيشة .

يعتبر هذا المبدأ امتداداً لأفكار مalthus التي نشرها في انكلترا في سنوات السبعينات أما في المجتمعات العربية الإسلامية فقد تعرضت هذه العملية إلى نقد حاد من رجال الدين الذين أدانوا هذا السلوك . و باعتبار النظرة الشمولية للإسلام فإنه لا يعتبر ما يسمى بسوء التوزيع لأقوات الأرض و أرزاقها بين الشرق و الغرب و لا بين الشمال و الجنوب من الأقطار و الشعوب المتعايشة على الأرض ولا قسمة الله الحكيمة بتفاوت البعض على البعض و ارتفاع درجة البعض عن البعض في المعيشة و لا يعتبر أي شيء من ذلك مبرراً لتحديد النسل و منع الولد (17) انطلاقاً مما سلف ذكره يبدو لنا جلياً أن عملية تحديد النسل محرمة في الشريعة الإسلامية أما تنظيم النسل فمرحب به و أمر جائز. إذن ما موقف الأسرة الجزائرية من عملية تنظيم النسل وتوجيه الخصوبة؟

الأسرة الجزائرية و عملية تنظيم النسل:

نستهل هذا الجزء بمقولات نراها تطرق باب الموضوع في صميمه ، يقول عبد الله إبراهيم: " يتشكل الأساس النظري الذي يقوم عليه مفهوم الأسرة كمؤسسة اجتماعية من المعايير العامة و الأنماط الثقافية و القيم التابعة لكل معيار على حدا .

إن الانتماء إلى الأسرة عند هذا المستوى هو انتماء إلى صورة أو فكرة عامة مجردة تحتوي أنظمة المعايير و القيم الموجهة لعملية الانخراط و الانصهار المجتمعي" (18)

و يقول لوران R. Louran " الإيجار ، الزواج، التربية كل هذه المعايير العامة تحمل اسم المؤسسة الاجتماعية ، إضافة إلى القيم و الأنماط السلوكية المرتبطة بها بينما توجي الأسرة بأفكار الزواج، الملكية الخاصة، الإرث، الحضانة، التدبير المنزلي، التربية" (19)

إن الأسرة هي مؤسسة اجتماعية تظم جمعا من المعايير و تقوم على أسس و أفكار و قيم تصاغ على حسب التنظيم الاجتماعي المحيط بها. فهي تثبت وجودها بتأمين استمرارها و عبر عقلنة الشكل التنظيمي للأسرة العربية والإسلامية في ظل التحولات الحديثة على كل المستويات . والأسرة الجزائرية كغيرها من الأسر في العالم لم تسلم من ظاهرة التغير الثقافي و لا من آثار العولمة و باتت تواكب مختلف التحولات الاقتصادية ، بل و كانت المسرح الأكثر عرضة لكل ما يجري على الساحة العالمية .

و الواقع أن المرجعية الثقافية و القيمية تأثرت بفعل العوامل الفكرية و الثقافات الدخيلة على المجتمع الجزائري . يقول عدي الهواري في هذا الصدد : " التغيرات المورفولوجية التي أصابتها (أي الأسرة الجزائرية) لم يكن من الممكن أن لا تؤثر على هياكل و أدوار أعضائها و التي لم

تعد مصالحهم مشتركة دوما...مما أدى إلى إحداث ديناميكية جديدة بحيث أن العلاقات في داخل و خارج الأسرة عرفت تعديلات كثيرة " (20)

إن مصطلح أسرة قد يحمل في طياته العديد من المفاهيم كالعائلة و القرابة و الزواج....و لعل هذه المفاهيم كَوْنها نظام اجتماعي أساسي في بقاء المجتمع و يشكل نسقا من الأدوار الاجتماعية المتصلة و المعايير المنظمة للعلاقات القرابية و تعتبر الأسرة شكلا مصغرا للمجتمع حيث أنها تقوم بتوسيع معاييرها و قيمها و توقعاتها للأفراد الذين يعيشون فيها، و تقوم بتوسيع و تعديل القواعد و الإجراءات لتنظيم سلوك أفرادها وفقا لتلك المعايير للإبقاء على النظام ذاته" (21)

فالمهمة الأولى للدور العائلي للأسرة هو تحويلها إلى نافذة رحبة و خلّاقة يطلّ منها الطفل على العالم الخارجي.... و على الأسرة أن تزيل قلق و مخاوف أبنائها من حاضريهم و مستقبلهم (22)

لأن الطفل يملك من خلال الأسرة القواعد و القيم و يكتيف سلوكياته وفق مختلف النشاطات المثمنة و ذلك بالرغم من الاختلافات العميقة للطبقات الاجتماعية (23) و تتمحور تربية الطفل في ثلاثة محاور أساسية هي:

1- وظيفة دينية ترتبط بكلمة حرام

2- وظيفة اجتماعية ترتبط بكلمة "حشومة"

3- وظيفة أخلاقية ترتبط بكلمة "عيب"

تشكل هذه المتغيرات الثلاثة المراجع الأساسية في المجتمع و مهما يكن الوسط الثقافي و الاجتماعي (محافظا أو متفتحا) فان لكل الأفعال علاقة مع التجارب الخاصة ويرتبط التغير في سلوك الأسرة ذات المستوى الثقافي العالي تجاه أطفالها بقلة المواليد عندها.

و في اطار الوظيفة الأولى يمكننا ذكر عملية منع الحمل التي لطالما كان لها فهما خاطئا داخل الأوساط الاجتماعية العربية عامة و الجزائرية خاصة على أنها تتنافى و الدين الإسلامي.و الواقع أن الدين الإسلامي بريء من هذه الأفكار العقيمة ، لكن ما هي العوامل التي أعاققت برامج تنظيم الأسرة في المجتمع الجزائري؟

لقد أثبتت بعض الدراسات السوسولوجية و الأنثروبولوجية و من ضمنها الدراسة الأنثروبولوجية الميدانية * التي قمنا بها على عينة من المجتمع المحلي بتلمسان مجموعة من الحقائق حول السلوك الإنجابي و عملية تنظيم النسل لدى الأسر الجزائرية و أهم النتائج كانت كالاتي:

- على رأس العوامل التي كانت تعيق صيرورة عملية تنظيم النسل داخل الأسر يأتي الوازع الديني الذي يهيكل الثقافة المحلية. فهو يلعب دورا هاما في التأثير على موقف الأسر من قضية تنظيم النسل، إذ هناك شرائح من المجتمع المحلي ترفض تماما فكرة استعمال موانع الحمل الحديثة الطبية مدّعية أنها تتنافى و الدين الإسلامي فتبقى على استعمال طرق طبيعية و غير مضمونة غالبا ما تفشل في منع وقوع الحمل فتجهض سياسة الأسرة في الإنجاب و هي لا تزال في رحم التخطيط.و ذلك على الرغم من وجود عدد هائل من الفتاوى التي تتالت بهدف توعية أبناء الأمة الإسلامية بمزايا عملية تباعد الولادات و تنظيم الأسرة.

و من أولى الفتاوى في هذا الصدد تلك التي قام بها الإمام عبد الحميد الغزالي حين قال " إن تنظيم النسل لا يتعارض مع الدين، و إن الرجل الذي يخاف على صحة زوجته من كثرة الحمل و يخشى الوقوع في الحرج بسبب عدم القدرة على الإنفاق ليس حراما أن يمنعه بالطرق الطبية"(24)

- للمؤثرات النفسية أيضا جانبا هاما في تكوين نظرة الأسرة لعملية تنظيم النسل، بحيث إن إتمام الذات عند المرأة لا يتم إلا من خلال عملية الإنجاب و تأدية دور الأم الذي يوفر لها اهتماما خاصا داخل المجتمع و هذا ما يتفق مع ما ورد على لسان الباحثة نفيسة زردومي حين قالت : " إلى جانب استقرار المرأة النفسي بعدم عقمها فإن الإنجاب هو وسيلتها الوحيدة لان تكون موضع اهتمام و عناية حيث أنها تتتهز فرصة حملها لكي تفرض مطالبها التي تنفذ في أغلب الأحيان (25) . و في نفس السياق تؤسس عملية الإنجاب بالنسبة للرجل عاملا أساسيا و منبعا للفخر و الاعتزاز و ذلك بإنجاب خلف يوقّر له الرعاية في مرحلة الشيخوخة.

- على صعيد آخر ثبت أن العادات و الثقافة المحلية بما فيها من ذهنيات تؤثر بشكل كبير على موقف الأسر من عملية الإنجاب و أهم عامل يبرز هنا هو ظاهرة البحث عن الولد. فلما للذكر من أهمية في مجتمعنا نجد بعض الأسر يتعدى فيها عدد الأطفال الستة و هي لا توقف الإنجاب بحثا عن الولد(الذكر) بالرغم من الفقر و تدهور الظروف المادية و الاقتصادية للأسرة.

- من جهة أخرى فإن فشل بعض موانع الحمل يؤثر بدوره في عمل المرأة بها و بالتالي علي سير عملية تنظيم النسل و ذلك رغم توسع الثقافة الصحية في الأوساط الاجتماعية و انتشار الوعي بمنافع الوسائل الحديثة لمنع الحمل. فبعدما كانت النسبة الغالبة في استعمال موانع الحمل تقتصر على الأقراص فقط، نجد أن اللوالب تشهد اليوم رواجا كبيرا في استعمالها لدى النساء لما أثبتته من فعالية و قلة الآثار الجانبية على صحة المرأة زيادة على سهولة استعمالها.

- من النتائج الهامة التي خرجت بها هذه الدراسة أيضا هي أن هناك شيوع روح الفردانية داخل المجتمع الجزائري و يظهر ذلك في اتخاذ الأفراد القرارات المصيرية لأسرهم دون مشاورة العائلة الكبيرة، فأصبح الفرد يخطط لحياته بطريقة فردية مستقلة كما تكوّن لديه الوعي الكافي بضرورة تنظيم الولادات للحفاظ على صحة المرأة و الطفل و كذا على استقرار الأسرة ككل .

و على ضوء ما ذكرناه يمكننا القول بأنه قد تتعدد الدعائم و العوائق التي تقف حجر عثرة أمام مسيرة عملية تنظيم النسل داخل الأسرة الجزائرية لكن ما لا يمكننا نفيه هو أن أهميتها قد تبلورت على مرّ العصور و في كل المجتمعات البشرية على تعدد و اختلاف ثقافتها .

و في ظل التحوّلات العميقة التي تشهدها المجتمعات الراهنة يبقى الفرد يسعى نحو حياة أفضل في مسيرته لمواكبة عصره و مظاهر التغير التي طرأت على البنية الأسرية بفعل انتشار الوعي و التعليم و المعرفة .

المصادر والهوامش:

القرآن الكريم

(1)_ ريتشارد، أنكر و زملائه ، المرأة و المشكلة السكانية في العالم الثالث، دار الثقافة للنشر و التوزيع، مصر (القاهرة) ص.ص: 35_38.

(2)_ ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد، مقدمة ابن خلدون ، دار الجيل للنشر ، بيروت ، لبنان، ص 170

(3)_ شارلوت سيمور، موسوعة علم الإنسان "المفاهيم و المصطلحات الأنثروبولوجية" ترجمة علياء شكري و آخرون ، المطابع الاميرية ، مصر، 1998، ص.ص: 224، 229.

(4)_ David Sarfaty, La contraception , Nouvelle Edition , SNIEP, France ,1992, P3

(5)_ عائشة بورغدة ، العاملة الجزائرية و تنظيم النسل ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، الجزائر ، 1986، ص 195.

(6)_Dr. Abdou BOUCHENAK KHELLADI , Guide de santé sexuelle et reproductive et planification familiale à l'usage des prestations de services , association Algérienne pour la planification familiale , CMMED, Oran , 1998, P88 .

(7)_ Norman Himes , Medical History of Contraception , The Williams Company, Baltimore, VI, 1936, P129.

(8)_ David Sarfaty, La Contraception , Op.cit, P3.

(9)_ Dr. Abdou BOUCHENAK KHELLADI , Op.cit ,P 89.

(10)_J.Paces , Le contrôle de naissance en France et à l'étranger, Bosc Frères , Lyon , France, 1971, P 7.

(11)_ حسن الساعاتي ، علم الاجتماع الصناعي، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980، ص.ص 215، 216

(12)_ Alfred Sauvy, Théorie Générale de la population, Tome 2, Ed PUF, Paris (France), 1966, P 79.

(13)_ Andrée Michel, Sociologie de la famille et du mariage, Ed PUF, Parie (France), 1972, P109.

(14)_ D'après le Comité consultatif Turc pour les affaires religieuses , décret du 19 décembre 1960, Traduction à partir du recueil (Attitude de l'Islam face à la régulation des naissances), The population Council, 1967.

(15)_ ب. مريم، مقال تحت عنوان "تباعد الولادات أمر يجيزه الشرع و يوجبه"، جريدة المجاهد الأسبوعية ، العدد 1429، ص. ص 12_13.

(16)_ أبو الأعلى المودودي، حركة تحديد النسل ، دار الشهاب للطباعة و النشر، باتنة (الجزائر)، 1988، ص3.

(17)_ محمد الشيخ بلحاج، تنظيم النسل و تحديده و قطعه في ضوء الإسلام، القرارة، الجزائر ، ص118.

(18)_ د. ابراهيم عبد الله، المسألة السكانية و قضية تنظيم الأسرة في البلدان العربية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 1994، ص109

(19)_ R. Louran, L'analyse institutionnelle, Ed Minuit, Paris(France), 1970,P12

(20)_ Addi Lahouari , Les mutations et la société Algérienne, Famille et lien social dans l'Algérie contemporaine, ED La découverte, Paris(France), 1999, P 56.

(21)_ عبد المعطي ، حسن مصطفى، الأسرة و مشكلة الأبناء، دار السحاب للنشر و التوزيع، القاهرة (مصر)، 2008، ص ص 9_10

(22)_ مكي ، عباس محمود، ديناميكية الأسرة في عصر العولمة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت، 2007، ص 143.

(23)_ Plaisance, Eric, L'enfant , la maternelle , la société, Ed PUF, Paris (France), 1986, P32.

* الدراسة الميدانية التي قمنا بإعدادها من خلال مذكرة التخرج لنيل شهادة الماجستير في الثقافة الشعبية ، تخصص أنثروبولوجيا تحت عنوان " ظاهرة تنظيم النسل :أبعادها الثقافية و الاجتماعية . دراسة أنثروبولوجية بمدينة تلمسان ، تحت إشراف الأستاذ. الدكتور الشايف عكاشة و الدكتور بشير محمد،

2001

- (24)_حسن الساعاتي، الأسرة و مشاكلها ' دار المعارف للنشر ، مصر، 1960، ص 164.
- (25)_ Nefissa Zerdoumi, Enfants d'hier , Ed Maspero, Paris (France), 1970, P.P 66_67.